أثر الديانات الشرقية على الفكر الغربى

للاستاذ فريدرك هيلر .

أثرت الديانات الشرقية تأثيرا مرموقا على الحياة الاوربية الروحية و العقلية ، و إن لم يكن على الكنائس المسيحية ، ولا على الانظمة الدينية من حيث المجموع . ولم تنكشف عظمة الأديان الشرقية و عمقها - بوجه عام - إلا لطائفة من المفكرين واسعى الآفاق العقلية و الفكرية ومنهم الشعراء العظام و العلماء الجهابذة .

وفى الأصالة فان الغرب قدتأثر بثلاثة من الميادين الدينية وهى :— الحكمة الصينية و المذهب الباطنى الهندى و البوذية المنحدرة منه و التصوف الاسلامى .

الحكمة الصينية

وصلت دعوة الفكر الصينى لأول مرة إلى الغرب بطريق المبشرين اليسوعيين الذين توجهوا إلى الصين . و حقنوا حماسهم الدينى أولا وقبل الجميع ، إلى الدوائر المتنورة . و جاء فى كتاب وضعه أربعة من المبشرين اليسوعيين ، وطبع بباريس عام ١٦٨٧م ثناء عظيم على «كونفيوشيوس»[١] بعبارات ما معناها : أنه أكثر الفلاسفة حكمة و نفوذا وهو استاذ الفلسفة الروحية و الحكم السياسية .

وفى رأى هؤلاء اليسوعيين أن أحدا من الفلاسفة الأوربيين لم يصل إلى درجته و نفوذه و ما كانوا يعتبرون تعاليمه متناقضة لمبادئ تعاليم الأناجيل وكان يدى الفليسوف الألمانى «جوتفريد ويلهلم لبنيز»[٢] الذى

---

(١) K'ung-fu-tze (٢) Gothfried Wilhelm Lubniz

كان يتبادل الرسائل دائما مع الارساليات اليسوعية، رغبته فى إيفاد البعثات الصينية إلى الغرب لكى تقوم بتعليم قيم الديانة الطبيعية و أعمالها فى حين قيام البعثات الغربية برحلات إلى الصين لتبليغ «دين الوحى» فى الشرق. و نتيجة لهذا التبادل الفكرى العظيم ينشأ عالم، يتمتع بالسلام و الانسجام الطائفى فى جميع أرجائه، و أن المحاضرة الشهيرة لـ«كريستيان وولف»[1] أيضا «دى سنارام فلوسيفيا براكتيكا»[2] يفوح منها هذا الرأى بعينه. و أثنى فيها كونفيوشيوس الفيلسوف الحكيم بقوله: إنه مؤسس الحكمة الصينية العالمية و أتى كهبة من السماء إلى الصينيين لانقاذهم من الهلاك و الآثام. و رأى وولف، فى تعاليمه ميزة كبرى الا وهى بأنها لاتناقض مع العقلية الفطرية و الطبيعية، بل و أنها لفى انسجام تام معها. و يقول: إنه من العناية الالهية أن ندرك ـ و لوفى هذه اللحظة ـ الحكم الصينية و من بواعث الأسف الشديد أن كثيرا من هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم إلى المسيحية لفى بعد كامل عن حقيقة التعاليم المسيحية. و من الذين يضمرون تقديرا بالغا نحونظريات كونفيوشيوس و الثقافة الصينية بوجه عام، «والتاير»[3] إذ قال: إن أحداً من اعظم فلاسفتنا و حكمائنا لم يضع مبدأ سماويا أعلى و أرفع من كونفيوشيوس حيث كتب «إن الاله وهبنى عنايته و حمايته فلايستطيع الانسان أن يمسنى بسوء» و أن قوته المعنوية لشديدة مثل الفولاذ و فى الوقت ذاته هومليئ بالأخلاق البشرية العادية. و وجد فى تعاليم كونفيوشيوس مافقده فى الكنيسة المسيحية أى الدين و الأخلاقيات لمبنى كلاهما على السبب و التعقل بدون الحاجة إلى وحى

---

(١) Christian Wolff (٢) De Sinarum Philosophia Practica

(٣) Voltaire

و تصوف و كرامة . و أن الحياة الفرنسية العقلية قد تأثرت خلال فترة الموسوعيات ، بحكمة الصين و مبادئها و وجهة نظرها نحو الحياة .

و أما الحياة الألمانية قد صارت تحت تأثير الشعر الصينى إلى حد كبير أثناء العصر التنورى . و أصبح كونفيوشيوس ، مثل سقراط و محمد ، نماذج الدين الفطرى و العقلى لدى أصحاب المذاهب العقلية الغربيين . وقد تمكنت الآراء الصينية مكانة مرموقة فى الآداب الغربية ولكن « جوتى » قد تأثر تأثرا عميقا بالناحية الصوفية و الأخلاقية من الحكمة الصينية . و تجلى ذلك فى مقتبساته عن الآداب الصينية و أشعاره الشهيرة « المواسم الصينية ـ الالمانية » . وكل هذا و ذاك يدل على الأثر الذى تركته الفلسفة الصينية فى عقلية أدباء الغرب و شعرائها .

وفى مستهل القرن التاسع عشر تعارف الغرب على كتاب « تاوتى كينغ »[١] الذى . وضعه « لاوتسى »[٢] وهو يتناول المبادئ الصوفية العميقة و الحكم البالغة . و صرح « أبلى رموسات »[٣] فى محاضرة ألقاها فى الاكاديمية الفارسية بأن لاوتسى ، ينتمى إلى فيثاغورس و أفلاطون . و توالت التراجم لهذا الكتاب فى العالم الغربى واحدة تلو أخرى و كذلك قام الكثيرون بتلقيحه و اقتباساته . وكان المترجمون يغمره بوابل من المدح و الثناء . و وصف العالم الأمريكى « بول كارس »[٤] لاوتسى ، كاحد فطاحل المفكرين فى الجنس البشرى . و قال بأن كتابه يقف على قدم المساواة مع الصحف البوذية القديمة و الاصحاح الجديد . و أضاف يقول : إن التشابه الذى يرى فى مبادئ لاوتسى ، و بوذا ، و عيسى يعطى لهذا الكتاب ميزة كبرى فى عين كل واحد يهتم فى الأمور الدينية و مبادئها .

---

(١) Tao-teh-king (٢) Lao-tze (٣) Able Remosat (٤) Paul Carus

و أما الآخرون فقد قارنوا نظريات لاوتسى ، مع نظريات «ميستر أخارت»[١]. و أن أحد مفسرى الكتب الدينية المتأخرين «إروين روسل»[٢] الذى قضى عدة سنين فى الصين يدرس حكمة الصينيين و التحقيق فى فلسفتهم ، يقول عن «تاوتاكنغ» بأنه كتاب فريد فى تاريخ الحركات الروحية فى البشرية ويصفه :ــ إنه أحد الكتب النادرة التى منحت للانسانية بحيث يتجلى فيها الآله بنفسه و يكشف أمام الذين يرغبون فى الاستماع . و استطرد قائلا : إنه فوق كل الحدود الزمنية و المحلية ، و أن روح لاوتسى لتبقى جلية حية أمام البشر لعدة قرون قادمة . و أن زعماء الدين المسيحى بأنفسهم قد طأطئوا رؤوسهم إجلالا و تكريما أمام عظمة هذه الحكمة الجليلة العريقة .

وقد اعترف الزعيم الدينى المنتمى إلى كاثوليك الروم «هارمان ـ شل» بأنه لن يوجد بين الكتب و الصحف الفلسفية ، ماعدا الاصحاحين القديم و الجديد ، كتابا يحتوى على نتائج البحوث الدينية و الروحية فى منتهى الدقة و التمحص ، و يكون بمثابة تراث قيم للاجيال المقبلة ، مثل كتاب لاوتسى . و كان البروفسور البروتستانتى و عالم الاصحاح القديم «جيولياس جريل» بفضل تبحره فى اللغات العديدة من أحسن المعلقين على «تاو وتاكنغ» و يقول بأن الحقيقة المحضة عن تعاليم «لاوتسى» مواجهة إحدى الحقائق الهامة فى تاريخ التطورات الروحية فى البشرية . و يراه أحد العظماء البارزين الذين لم يقدروا حق قدرهم فى صفحات تاريخ الانسان . و فى رأى «جريل» أن التصوف الصينى ، كما اتضح فى لاوتسى ، قد فاق تعاليم الاصحاح القديم فى إدراك الدرجات العالية للتصور المذهبى و العقلى

(١) Meistr Eckhart (٢) Erwin Rousselle

للاصحاح الجديد و يعتقد «جريل» بأننا نرى سبقا عجيبا للمبادئ الأساسية لتعاليم عيسى عليه السلام فى تآليف لاوتسى . و اكتشف بنفسه واحدا و ثمانين مماثلا لما جاء فى الاصحاح ثم أثبت بأن هذا الكتاب قدصار جديرا لحث زعماء الدين المسيحيين لاعادة النظر فى مسألة الوحى و فكرة الالهام . و يقول «جريل» إن تفرد لاوتسى لابد أن يكون بنفسه سر قوته و نجاحه . و أنه لم يعرف ولم يفهم فى زمنه كما حقه ، و هذا يعنى زمنه لم يأت بعد ، لأنه لم يكن اسم رجل عادى أو عبارة تنم عن الماضى ولكنه طاقة للحاضر و المستقبل . وكان عصريا أكثر من العصريين الجدد ، و مليئا بالحياة أكثر من الأناس الأحياء .

الفكر الهندى الدينى

تأثر العالم الفكرى الغربى إلى حد واسع النطاق بالنفوذ المغناطيسى للفكر الدينى الهندى . انسلك المغامر الفرنسى «أنكويتل دوبران»[1] فى الجيش البريطانى الاستعمارى بغية الاطلاع على الآراء الدينية و الحكم الفلسفية للفارسيين ـ المجوسى ـ بمدينة بومباى . و أخذ معه إلى أوربا الكتب المقدسة «لزند ـ أواستا»[2] و ترجمة فارسية لأوبانيشاد الويدية . و تمت و نشرت هذه الترجمة بأمر من الأمير المغولى ، «داراشكوه» و لأجل هذا أصدر أخوه أورنكزيب أمرا بقطع عنقه . و حدث ذلك عام ١٦٥٦ م ، و فى سنة ١٨٠١ م وضع «دوبران» ترجمة لاتينية باسم : «أوبناكت»[3] وقد وصفها بنفسه بأنها تحتوى على المبادئ الدينية الباطنية . و يقول مقتبسا من «أوبانيشاد» : إذا عرف أحد ربه فقد صار ربا بنفسه . و صارت

---

(١) Anquetil Duperron (٢) Zend-Avesta (٣) Oupnek'at

هذه الترجمة كتاب الأدعية اليومية «لشوبنهور»[١]. و وصفها بانتاج الحكمة العليا للمواهب الانسانية.

و انظر مدى تنسم «أوبناكت» بروح «الويد» العظيمة، وكيف ينحاز أحد، بمجرد الأطلاع على محتويات ترجمته اللاتينية و الفارسية. إلى أعماق هذه الروح التى تفوح من هذا الكتاب المقدس؛ وكل صفحة منه مليئة بالأفكار الجزيلة، و المبادئ المقدسة، و يشع منه نور التسامى الفكرى إلى قلب كل من يلق إليه نظرة خاطفة. و يقول «شوبنهور» إنه كان عزاء لحياتى و سيكون عزاء لى فى أوقات مماتى.

و أن الفيلسوف الكبير «بول ديوسن» لقد فهم أوبانيشاد بنفس الطريقة و أدرك فحواها كما حقه. و قام بترجمتها إلى الألمانية بكل دقة و إتقان. و وجد فيها «ديوسن» إرشادات عميقة مبرهنة حول سر الكون و الحياة. و أن التصور الفلسفى الذى تنطوى عليه هذه المجموعة لفريد فى نوعه حيث لا يوجد له مثيل فى الكتب الهندية الأخرى أو فى أى مكان آخر على وجه الأرض. ويضع أوبانيشاد فى مستوى الاصحاح الجديد. وهو مقتنع بأن كلا الكتابين متم للآخر فلاتعارض بينهما، فى أهدافهما أو مبادئهما. و هما فى مقدمة الكتب الدينية الكبرى فى العالم. و أن المؤلفة الالمانية الشهيرة «مالويدا»[٢] التى تلمذت على «شوبنهور» و «ديوسن» أيضا قد اتخذت أوبانيشاد كتاب الأدعية اليومية. و تصف أوبانيشاد بكل احترام و تقدير ساعدنا الحظ للنظر إلى أعماق أسرار الكون و حقيقة الحياة و عرفنا أن الحق الصريح، و الوجود الحقيقى، لا يقبل التبديل و التلون فان حوادث الأمور وظواهر الكون التى تتطور

---

(١) Schopenhaur (٢) Malvida

و تتغير بتقلبات الأزمنة و الامكنة . و إذا انتشر الفكر الهندى القديم فى أرجاء العالم المتأرجح بالحروب و الكروب فيعود إلى حياة جديدة مليئة بالأمان و الطمأنينة النفسية و السعادة الروحية . و على أقل تقدير إذا تمكن الايمان بأننا جميعا من أصل واحد و عودتنا إلى مرجع ، و بعبارة أخرى فان «براهما»[١] فى كل إنسان ، أبيض كان أو اسود أو أصفر بل فى كل حيوان و طير و نبات و فى كل المخلوقات فيكون مصدر النتائج التى تبهر العقول و تثلج الصدور .

و مدح الفيلسوف الانجليزى « تشامبرلين - H.S »[٢] الذى عاش فى ألمانيا ، التعاليم الويدية . ورأى فيها مظهر الوحدة الجيلة ، لأنها لاتعترف بالتناقض او الفرق بين الدين و الفلسفة . و لما سئل مرة عما إذا كان من أقرباء السياسى الكبير «تشامبرلين» أجاب بأنه قريب جدا «ياجناوالكيا»[٣] أحد كبارا رجال أوبانيشاد . و أما « ماكس مولر »[٤] فقد ترجم أوبانيشاد إلى الانجليزية قبل أن يترجمها بول ديوسن . و فتح أمام الغرب أبواب الانجيل القديم للجنس البشرى إذ نشرفيها تعاليم « رج ويدا »[٥] و أثنى على جمالها و دقة شعورها و أبهتها . وكان أحد كبار العلماء الذين حرزوا قصب السباق فى ميدان دراسته الاديان التحليلية فى العالم . و نشرمؤلفه الهائل المعروف باسم : « الكتب المقدسة للشرق »[٦] فى خمسين مجلدا . وهو بمثابة السفر القانونى للأديان الشرقية . ولم يتنكب عن الاعتراف بوجود الوحى الالهى فى الأديان الأخرى ، سيما فى الفكر الدينى الهندى . وكان العالم الأوربى الأول الذى أعلن بكل وضوح وجلاء على الملأ بأن الهند لديها

---

(١) Brahma (٢) H. S. Chamberlain (٣) Yajnavalkya.
(٤) Max Muller (٥) Rg. – Veda (٦) Sacred Books [redacted]he East

رسالة روحية لأوربا. و سجل هذا فى كتابه : الهند، وما تستطيع أن تعلمنا إياه ؟ و مع كونه مؤمنا بالمسيحية، و معتقدا بأن عيسى درته الغالية قد نصح بعض الطلاب اليابانيين الذين سألوه عن الدين الذى يجب أن يعتنقه اليابانيون لأن يكونوا متمسكين بالبوذية.

و صارت «بهكوات جيتا» محل اهتمام بالغ لعدد من مشاهير العلماء الألمان. و نقح العالم «أغسطس ولهاليم» النص الأصلى وطبعه مع ترجمته للاتينية. و أمطر وابلا من الثناء على الشاعر المجهول فى مقدمته بكلمات سامية : إنى أحييك أيها الشاعر المعبود - و القديس العظيم و رسول الرحمة. و بعباراتك الخالدة نستلهم النعماء و ترتاح بها الروح و ترتقى إلى مدارج علياها. و أنت مهبط الالهام و محط البركات و إنى أقبل دائما قدميك المباركتين و أنحنى أمام عظمتك.

و كتب «ويلهلم وون» العالم السنسكرتى رسالة قيمة علمية حول هذه القصيدة المقدسة. و اعترف لأحد أصدقائه بأنها ربما تكون أعمق الافكار الوضعية - الارضية - التى منحتها المواهب البشرية، و أعظمها و أضاف انى شعرت، فى أول وهلة عند قراءة الاشعار الهندية، بأن من العناية الالهية أن تتاح لى فرصة الوقوف على حقائق هذه الأعمال الجليلة.
و حاول مفسر ألمانى آخر «لور نسر» لاثبات أن واضع «بهاكوت جيتا» لمدين للاصحاح الجديد لمبادئه النقية العالية، و هذا راى يستحيل من الناحية التاريخية لأن عهد «جيتا» لأقدم جدا من عهد الاصحاح الجديد. و وصفه بأجل الأشعار السامية مع المبادئ العظيمة و يعتبر كاحدى أشهى الزهور و أزكى الورود فى حديقة الحكم الغا

و أن المؤلف الفرنسي الشهير «سيمون» ولد يهوديا و لكنه يعد نفسه مسيحيا غير المعمودي، و يقول عن انطباعاته لدى قراءة «جيتا» : بينما كنت أقرأ هذه الكلمات الشيقة التى تثلج قلب كل مسيحي غلبنى شعور عام بأن الاستحسان الذى يجب أن نرحب به الحق الديني أحر و أعلى من الذى نرحب به دائما أحسن الأشعار و أجملها.

الكتب الفكرية الأخرى

إلى جانب هاتين الوثيقتين العظيمتين للحكمة الهندية فان عددا آخر من الكتب الفكرية الهدية قد ترجم إلى اللغات الغربية وصار محل قبول و استحسان لدى الغرب بوجه عام. و ترجم اللغوى الشاعر الألماني الكبير «فريدريك دوكرت»، «جوبدا جيتا»، و كذلك ترجم «و الترا ديتز» «بهاكوات بورانا» وكان مولعا بالفلسفة الهندية، و ملما بمذاهبها، و قضى عدة سنين فى الهند و لما أنه اتخذ له مرشدا منحدرا من أصلى ألماني عاش فى الهند حينذاك و هكذا صار مبشرا بالمذهب الباطنى الكرشناوى. و هناك كتب و قصائد أخرى هندية أخذت بمجاميع قلوب الشعراء الألمان عند ماترجمت إلى اللغات الغربية و أما الملحمة الهندية المعروفة «شكنتلا» لـ «كاليداس» قد اصبحت محلا لثناء عدة علماء غربيين مثل «هردر» و «شيلر»، و «جوتى»، و «ويلهلم»، و كذلك قصيدة كاليداس «بجدوتا» أى رسول الغمام و اشعار «نالا و نمايانتى» نالت اهتمام المترجمين والدارسين للاديان و الفلسفة الشرقية. وكانت أشعار «جوتى» أشهرها و أجملها فى هذا المضمار وقد استلهم من النظريات و الافكار الهندية الأخرى. و لما قرأ كتابا ألفه أحد الارساليين الهولنديين عن مهمة «ديوداسي» أمة الاله

التى تلتزم المعبد و طريقة « ستى » أى إلقاء الأرملة نفسها إلى النار المحرقة تبعا لروجها المتوفى و أسفا عليه ، ألف « جوتى » شعرا جميلا شيقا ، و سماه « درجوت أنت دى بجادرا » فيصف الحكاية المذكورة فيه بطريقة خلابة عند ماقضى الاله ليلة سعيدة مع فتاة المعبد تظاهر بأنه مات ، فشعرت « ديوداسى » التى اعتبرت نفسها زوجة للاله أسفا شديدا عليه و قررت لأن تكون مثالا حسنا لـ« ستى » و ألقت نفسها إلى لهيب النار المحرقة . و الشعر الآخر الذى كتبه « جوتى » تحت تأثير الأفكار الهندية هو « دى برايرآف اى باريا » .

و أما النفوذ الأدبى الهندى فى الأدب الأوربى قد ترعرع بفضل الزيارات الشخصية التى يقوم بها الهنود إلى البلدان الأوربية و تلقت عدة شخصيات هندية كبرى ترحيبا بالغا فى الدوائر الغربية خلال القرنين التاسع عشر و العشرين . و ترك « رام موهن راى » مؤسس حركة « براهمو سماج » و الذى مات فى انجلترا أثرا بالغا على البروتستنتيين ، الاحرار سيما الموحدين منهم . وكان « سرى رام كريشنا » موضوعا للبحث فى مؤلفات « ماكس مولر » و « روماين رولاند » و أن الاعمال الأدبية و الفلسفية و الخيالية لرابندرانات طاغور قد وجدت قراءا كثيرين لتراجمها الغربية ورأيت بنفسى الاستحسان الفائق الذى يتمتع به طاغور فى الدوائر الغربية إذ ألقى محاضرة و بعض قصائده القيمة فى قاعة كبرى فى مسقط رأسى مدينة « مونيخ » .

و عرف « روماين رولاند » و عدد آخر من الكتاب الغرب المهاتما غاندى فى أوساط العقليات الأوربية و أفكارها . و يقول الكاتب

الأمريكي «جوهن هاينس هولمز»: اذا كنت معتقدا فى التناسخ ـ وأقول بكل احترام و تفكر هذا المبدأ الهام ـ فأقول بأن المهاتما غاندى لهو المسيح الذى بعث إلى الأرض. و يخاطب «رولاند» فى ختام أشعاره كلا من الشاعر الهندى (طاغور) و رجل السياسة (غاندى): ـ ياطاغور! و يا غاندى! البحران الهنديان الفياضان، يدوران بين الشرق و الغرب و أحدهما بطل الاعمال الجريئة و الآخر حلم مضيئى لا يغيب مطلقا! وكلاهما فيض إلهى فى الأرض، الأرض التى تتأرجح فى نارالشقاق و البغضاء، و تبثان بذور الخير و المودة فى أرجائها».

ولم يكن المفكرون الأحرار الغرب وحدهم الذين تأثروا بالفكر الهندى، بل البعثات التبشيرية التى أتت إلى الأراضى الهندية قد تشربوا بمبادئ التدين الهندى و أهدافه. و قام بعض الارساليين بتفسير الكتب الدينية و تنقيحها و دعاتها مثل: «بوب» و «مانسيكول» و «فاركوهار» بينما تأثر بها عدد آخر بطريقة ملموسة مثل «جاكيب ويلهلم هاور» الذى سعى لايجاد مذهب دينى هندى ـ ألمانى أو آرى ـ ألمانى و هو يجمع بين العناصر الكامنة فى التصوف الهندى و الألمانى. و كان هناك عدد لا بأس به من أولئك الذين يعتقدون بضرورة قيام البعثات التبشيرية من الهند الدينية إلى الغرب أكثر منها من الغرب المسيحى إلى الهند. و يعلن المبشر «الانجليكانى» و «نسلوو»: إنى لا أبالغ إذ قلت فان الغرب لمحتاج إلى الهند، و كلما أزداد معرفة عن الهند أزداد يقينا بأن النور الذى تستطيع أن ترسله العبقرية الدينية الهندية على الفكر المسيحى و الحياة اليومية فى الغرب ليكون بمثابة ثورة فكرية و معنوية، و يتجلى لنا حينذاك بأن معرفتنا إياها مازالت جزئية غير كاملة.

و أن رأيا مماثلا عن الدعوة الفكرية الهندية أبداه عالم هندوكى فى المؤتمر العالمى المنعقد فى برلين عام ١٩١٠ م حول المسيحية الحرة و التقدم الدينى فقال : إن للهند، كما هى اليوم، رسالة نحو العالم بوجه عام و الغرب بوجه خاص ، و أن الرسالة الثلاثية من الاتحاد المباشر مع العقل الكشفين الذاتى، و التركيب الخاص لأديان العالم، و التآلف الباطنى الكامن فى بشارة جميع الانبياء و الرسل العظام، و الأخوة الانسانية الشاملة .

ولما ذهب المبشر المسيحى «سندارسنغ» الذى ولد فى طائفة السيخ ، وصار فيما بعد مبشرا بالبشارة العيسوية ، إلى اوربا و الولايات المتحدة الأمريكية متحليا الثوب الكهنوتى المسيحى، بدأ الدعوة إلى مبادئه و مذهبه بأمثلة و رموز هندية. و انطبعت الجماهير الغفيرة التى تجمعت فى الكنائس وقاعات المحاضرات بالشكل الهندى للفكر المسيحى و الحياة العيسوية .

أثر البوذية

و أما البوذية أيضا فلم تكن أقل أهمية فى نظر الغرب عن شقيقاتها من الاديان و المذاهب . و أن العالم الدينى الكبير للكنيسة المسيحية «أوريجن» المنتمى إلى المدرسة التبشيرية الاسكندرية لقد تأثر كثيرا بالهندوسية و البوذية . و يوالى المذهب الكونى الهندى الدائرى ، و كان يعتقد ، مثل عقيدة البوذيين المنتسبين إلى مذهب «مهايانا»[1] ، بأن عيسى المسيح لن يدخل إلى سعادته الابدية الكاملة مادام فرد من أتباعه منغمسا فى الشر أو يعانى المقاساة .

---

(1) Mahāyāna

و فى السنين التالية عرفت البوذية فى البلدان المسيحية فى شكل أسطورة راهب. وما كانت أساطير «برلعام» و يوسف إلا صورة أخرى مستغربة لأسطورة بوذا. و تسربت القصة الأصلية إلى الغرب، مع تلون مسيحى ضئيل، بطريق فارسى، و سوريا، و بيزانطين، كما أثبته أستاذى فى السنسكرتية فى مناظرة علمية قيمة. و يؤيد الرحالة «البندقى» الشهير «ماركو بولو»[1] فى آسيا التشابه الوطيد بين النظريات البوذية و المسيحية. وكان الذى قدم المعلومات الثمينة، لأول مرة، عن البوذية إلى الغرب بطريقة منظمة. و يقول «ماركو بولو»: إذا كان «بوذا» مسيحيا لصار راهبا عظيما أمام عيسى المسيح لأن حياته كانت فى غاية الصفاء و الرهبنة. و فى الأيام الأخيرة قد اهتم عدد كبير من المفكرين الغرب بتعاليم بوذا و شخصيته وكان «شوبنهور» أول مبشر بوذى فى ألمانيا، و بناء على اعتقاده بأنه هو و بودا يبشران بنظرية واحدة، مثل أبانيشاد، وضع تمثالا تبتيا لبوذا فوق طاولته. و تحت تأثير شوبنهور، انحاز الشاعر الألمانى المعروف «رتشارد واجنر»[2] بنفسه إلى الآراء البوذية. و قد اعترف «مايتلد» بأنه صار بوذيا طوعا لا كرها ثم قال: إن البوذية تقدم تصويرا عجيبا للعالم و بوجهه يقف جميع النظريات الاخرى تافها وضيقا. و مع أنه لم ينجح فى تحقيق مشروع له لوضع تمثيلية موسيقية باسم «الفاتح»[3] و بالهندية «جينا») عن بوذا و حياته فان خططه تتجلى فى تمثيلياته الموسيقية الشهيرة الأخرى.

و أما كتاب «نيتاتش» (ثورة القيم الاخلاقية) فيحتوى على قصيدة كاملة عن بوذا و مذهبه، و وجد بأنه أقرب إلى الواقعية من المسيحية

---

(١) Marco Polo (٢) Richard Wagner (٣) The Victorious

لعدة مرات . و يجد «أناطول فرانس» فى البوذية أحسن ناصح و أقوى مسعد و معين للانسانية المنكوبة بأنواع من الكروب . و يصفه العالم الفاضل «ليوبولد زيجلر» كطراز آخر للبروتستانتى . و يعتقد الفيلسوف «هانس دريز» بأن البوذية ، كدين و إلهام ، تقف على قدم المساواة مع المسيحية فى القيم الفكرية و الاخلاقية . و يقول العلامة الالمانى «بتزولد» إن الماء الصافى من «مهايانا» لفى مكنته تطهير البشرية وتنقيتها من الأدران اللاصقة بها .

و هناك عدد لابأس به من فطاحل العلماء الأوربيين ، سيما الألمان ، فقد مهدوا الطريق ، بفضل بحوثهم العلمية و التاريخية إلى انتشار هذا الاتجاه الودى نحو البوذية فى مختلف أنحاء العالم الغربى . و فى مقدمتهم «هرمان أولدن برج»[١] و نشرت عدة طبعات لكتابه الشهير «بوذا و مبادئه ، و مجتمعه» و يليه فى الاهمية «هرمان بك» الذى كان محاميا ذائع الصيت ثم تحول إلى خبير فى الشؤون التبتية و أخيراً صار مبشرا مسيحيا قديرا . و إذا استثنيت الانجيل فلم أقرأ مرارا و تكرارا كتابا ما أكثر من كتابه عن البوذية ـ و يكتب «بك» : إن من واجب هذا العصر أن يلم إلماما كاملا بالبوذية و أصولها و فى ضوء ذلك ينال معرفة شاملة عميقة عن الدين و الحياة الدينية ـ و أن دراسة تطبيقية للاديان على أساس علمى حديث ، سيما البوذية ، تؤدى تصويرا أدق و إدراكا أعمق للمسيحية .

ولم يصف أحد من شعراء الغرب أو علمائه لقصة بوذا أحسن من وصف «هرمان بك» إذ قال : إن دعائم البوذية الاصلية ربما توجد بمعناها الحقيق ، فى القصة نفسها ، فلاتنطوى هذه القصة التى تشكل منتجات أدبية نفاذة بشرية على استعلاء المظاهر الانسانية المتطورة

---

(١) Hermann Oldenburge

بطريقة دراماتكية فقط ، بل تمثل بنفسها ، فى زى دراماتيكى ، جوهر المبادئ البوذية و قلب الدعوة التى دعى بها بوذا البشرية ، فى شكل يبهر الأذهان ، و هذه الطريقة تنفذ إلى أعماق القلوب فى أسرع وقت ، من النصوص و الكتب المقدسة .

و منذ نهاية القرن التاسع عشر جرت دعاية منظمة للبوذية فى البلدان الغربية بأيدى المولعين بها من علماء و أدباء و رجال الدين . و رأى «تيودر» فى البوذية خميرة للتجدد المرتقب فى ميدان الوعى الدينى فى دائرة الأدب الأوربى . و تلته الأعمال العلمية «كارولين داويد» و زوجته ـ وكان كل منهما متبحرا فى العلوم الدينية التطبيقية وهما من مؤسسى «اتحاد بالى» و عمل كلاهما لنشر البوذية «تراوادا» فى أنحاء العالم ، ثم ما الدكتور «بول دهلك» من برلين الذى بنى المعبد البوذى فى مدينة برلين . و «جورج جريم» من مونيخ . الذى ألف كتابا قيما باسم : البوذية دين الطبيعة ، و «هانس مخ» من هامبرج ، و «كارال جيلروب» كاتب الروايات البوذية الدانماركى . و أن عددا من الألمان قد اعتنقوا البوذية فدخلوا ديرا بوذيا فى السيلان و صاروا نساكا بوذيين و دعاة عالميين . وكتب شروحا و تعليقات على نص «بالى» «جوت» الذى صار فيما بعد راهبا بوذيا .

و أنشئت منظمات و هيئات بوذية عديدة مثل منظمة : «مها بودهى» فى كلكتا ، ولم تكن أهدافها نشر الدعوة البوذية و الاحتفاظ بها فى الهند فقط بل كانت تعمل لنشرها و تعريفها فى البلدان الغربية أيضا . و من

انجلترا، و الاتحاد الذى أنشأه العالم الأمريكى «لونسبرى»، و الاتحاد الأمريكى البوذى. و بنى معبد بوذى فى لندن. و تقيم جاليات بوذية منظمة فى كل من ألمانيا و انجلترا. و تجرى تحت أشرافها مجلات و نشرات دورية تدعو الى البوذية و مبادئها. و تقوم تلك الجاليات و هذه المجلات بمهمة تعليم الغرب أن البوذية دعوة إنسانية عامة و أن بوذا يسكن فى كل إنسان أيا كان مكانه و زمانه.

الأثر الاسلامى

و بدأ الاسلام يترك أثره فى الحياة الفكرية الأوربية منذ القرون الوسطى و أن عددا كثيرا من العلماء الدينيين الكبار، و فى مقدمتهم «توماس اكيويناس»[1] لمدين لعالمين من كبار علماء العربية و فلاسفتها و هما أبوسينا، و ابن رشد. و الدوائر العلمية و الفلسفية فى القرون الوسطى تلقت أعمال أرسطو و فلسفته و مبادئه بطريق المؤلفات العربية.

و فى العصر الذهبى تحول الجدل الدينى المسيحى ضد محمد إلى تقدير حقيقى لتعاليمه و أصوله. و ترجم أحد رجال الكنائس الالمانى القرآن فى القرن الثامن عشر. وهو «كونسستو ريال ريت-جويتسن» من كودلنبرج فمدح فى تقدمته الاسلام بقوله: إنه أكثر الأديان تعقلا و منطقا بعد الدين المسيحى. و تأثر الشاعر العبقرى الألمانى «جوتى» بالتصوف الاسلامى تأثرا بالغا. و تجلى جانبه الشعرى إلى حدكبير فى الفارسية. و صار ديوانه الذى يحتوى على مجموعات من الأشعار الفارسية حول الصوفية مرجعا لطلاب العلوم الشرقية فى ألمانيا كلها. و أبدى أحد الشعراء الألمان الكبار «هانس» مدى نفوذ الشعر الفارسى فى «جوتى»، و قد مدح «جوتى» كثيرا

(١) Thomas Aquinas

الشاعر الصوفي الفارسي الشهير حافظ ، إذقال ما معناه : يا حافظ ! ماهذه الغطرسة على أخيه المتساوي في المقاساة و المحاباة ! لا أريد المجاراة إلا معك في السراء و الضراء ! و نحن توأمان فيهما .

و انطبع جوتي كثيرا بفلسفة « الفناء » المطابق « لنروانا » لدى الهنادكة وكان يستخدم مثال الفراشة الفارسي لأن الفراشة يعجبها النور فتلقي نفسها في اللهيب فتفنى في سبيل الحب إلى النور . و مع كون جوتي كان ينظر إلى الاسلام من الناحية الاخلاقية و الجمالية فلابد أن يعرف الواحد جيدا بأن « جوتي » لمن القلائل الغربيين الذين فهموا روح الاسلام و جوهره و أدركوا غاياته السامية حيث قال في شعر شيق : « مادام الاسلام يعني الاستسلام الكلي لله تعالى فاننا جميعا نحيي و نموت في الاسلام . »

و أما الألماني الآخر الذي عرف الشعر الاسلامي في الغرب « فريدرك روكرت » وكان عالما لغويا و شاعرا صوفيا . و خدم المستشرق الكبير « هلمر برجستال » للشعر الفارسي في ألمانيا خدمة جليلة . و قام عدد من فطاحل علماء انجلترا و ألمانيا و فرنسا ببحوث قيمة علمية و تاريخية حول الاسلام و في مقدمتهم العالمان المعروفان ، « نوول ديك » وجولد زير » و أن دائرة المعارف الاسلامية التي حررها العلماء الغرب لأكبر دليل على فهم العقول الغربية حقيقة الاسلام و علومه .

و أن العالم الفرنسي الكبير « لويس مسيجنون » لأحسن الشخصيات التي هي بمثابة مرجع كامل للاديان الشرقية في الغرب . و على رغم كونه متمسكا بمذهب الكاثوليك الروم ، يقدر الاسلام بكل تقدير و احترام و يتزعم حركة « الاخوة الاسلامية ـ المسيحية » . و المرجع الآخر عن

الاسلام فى الغرب سيدة ألمانية تولت أولا منصب أستاذ فى جامعة «ماربرج» وهى الآن تدرس تاريخ الأديان فى كلية الدين الاسلامى لجامعة أنقره. و اسمها «أنامیری سکیمل» و نشرت سلسلة مؤلفات عن البحوث العلمية حول الاسلام و مجموعة من الأشعار الصوفية الجميلة. و أن معظم أشعارها فى بحر «غزل فارسى» و فى روح المتصوف الاسلامى الكبير جلال الدين الرومى. و إلى جانب الأفراد و المعاهد العلمية توجد فى أوربا منظمات إسلامية يديرها أعضاؤها الذين اهتدوا إلى الاسلام من المسيحية. و من هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام و يقومون بالدعوة إليه و نشر مبادئه عالم مجرى شهير باسم «جرمانوس»، فقد نشر تاريخ حياته فى كتاب كثير التداول فى شتى بقاع العالم و لقبه: «الله هو».

و اتضح لنا مما سبق مدى نفوذ الفكر الشرقى و روحية أديان الشرق فى العقلية الغربية و أفكارها و آدابها خلال القرون القلائل الماضية وما زال مستمرا إلى يومنا هذا. ولم يدرك أحد أوجه التشابه الحقيقى و مدى عرى الروابط الاخلاقية و الادبية الوطيدة الراهنة بين الشرق و الغرب فى الميادين الروحية و الفكرية و الدينية مثل الشاعر الألمانى جوتى. و يقول فى إحدى قصائده فى معرض الكلام عن الصلات القائمة بين الشرق و الغرب «الذى يعرف نفسه هو و الآخرين، لابد أن يعترف جيدا بأن الشرق و الغرب لايفرقان مطلقا؛ و نهتز رواحا و جيئة بين العالمين الشرقى و الغربى، متطلبين الأفكار الجميلة و ناشدين الحق الصريح؛ و ليس هناك شيئ أسعد و أهنأ من التحرك بين الشرق و الغرب. و الشرق كله لله، و الغرب كله لله و الأراضى الشمالية و الجنوبية لمودعة كلها فى يده!!!